ملخّص برنامج الخاتمة - الحلقة (١٤٦) - اعرف امامك (ج٤٥)
صحائف العقيدة السليمة - القسم(39)
الصحيفة (٥) - شؤون عقيدة التوحيد (ق١٥)
الشأن (٢) - اركان عقيدة التوحيد (ج١٤)
الركن (٤): التوحيد في آفق التطبيق النظري والعملي لعقيدتنا على قلوبنا وعقولنا (ق٣)
الجمعة : ١٥/شوال/١٤٤٢هـ - الموافق ٢٨/٥/٢٠٢١م
عبد الحليم الغزّي

**العليّ العظيمُ الاسمُ الأوَّلُ الَّذي تجلَّى** ؛ هو المظهرُ الجلاليّ الأتم، قطعاً يستبطنُ الجمال، الجمالُ استُبْطن في الاسمِ المكنون؛ (**رَحمَتي سَبَقت غَضَبي**)، إنَّها الحقيقةُ الـمُحَمّديَّةُ في أصلها، (**أوَّل مَا خَلقَ اللهُ خَلقَ الْمَشيئَة بِنَفسها**)، إنَّها الحقيقةُ الـمُحَمّديَّةُ الَّتي تُشرِقُ جمالاً؛ (**رَحمَتي سَبَقت غَضَبي**)، الرحمةُ عنوانٌ للجمال، والغضبُ ما هو بغضب المشاعرِ عندنا نحنُ البشر، الغضبُ عنوانٌ يُشيرُ إلى الجلال، لأنَّ الرحمة حين تُستعمل هنا يُدركها الإنسانُ بسهولة، تُشيرُ إلى جمال مشاعرِ الإنسان، وأمَّا الغضبُ يُدركهُ الإنسانُ بسهولة يُشيرُ إلى قُوَّة مشاعره وإلى جبروتها، قطعاً إذا كانَ الغضبُ حكيماً، (**رَحمَتي سَبَقَت غَضَبي**)، الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ حقيقةُ جماله سُبحانهُ وتعالى، وهي تستبطنُ حقيقة جلاله.
فللحكمة تجلَّى الجلالُ منها في الاسم الأوَّل (**الله**)، وحين أشرق؛ أشرقَ بهذا الاسم (**العَليّ العَظيم**)، الحقيقةُ العَلَويَّةُ هي مجلى الجلال الإلهي، وهي تستبطنُ جمالَ الله، مثلما الحقيقةُ الـمُحَمّديَّةُ في أوَّل صُدورها وفي أوَّل تجلّيها إنَّها تُظهِر جمال الله وتستبطنُ جلال الله، وحينما تجلَّت فيها الأسماء الأربعة الاسمُ المكنونُ هذا الاسمُ المكنونُ هو جمالُ الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، رُبَّما أستعملُ هذا العنوان للتقريب؛ (**مُحَمّدٌ هو الحبيبُ**)، مُحَمّدٌ هو أحبّ ما خلق اللهُ إلى الله، والحُبُّ قرينُ الجمال، فالوجهُ المكنونُ حقيقةُ جمالِ الأوَّل الَّذي لا أوليّةَ لأوليّته والَّذي أشرق في الحقيقة الـمُحَمَّديَّة الأولى، في الحقيقة الـمُحَمَّديَّة العُظمى.
لكن حينَ أرادت أَن تتجلَّى لما سيصدر منها من سلاسلِ العللِ والخلقيّات ومن سلاسلِ الفيضِ فإنَّ الباب الأوَّل فإنَّ الاسم الأوَّلَ هو (**الله**)، وهذا العنوانُ عنوانُ الجلال الإلهي، ولذا فإنَّ أول اسمٍ تجلَّى منه (**العَليّ العَظيم**).
- **فالاسمُ**؛ العليّ العظيم.
- **والمسمى والمعنى**؛ الله.
هذا الموضوع سأعودُ إليه حينما أُحدِّثكم عن العبادة لكنَّني أردتُ أن ألفت أنظاركم إلى هذه النقطة المهمَّة من أنَّ الحديث هنا في مستوى الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، فالحقيقةُ العلوية هي من مجالي الحقيقة الـمُحَمَّديَّة.
**وإذا كانَ هناك من اسمٍ ومُسمّى؛**
**فإنَّ الحقيقة الـمُحَمّديَّة**: هي المسمّى، هي المعنى.
**والحقيقة العَلَويَّة**؛ هي الاسم.
قلتُ إذا كان هناك من اسمٍ ومُسمَّى، لأجلِ أن أُقرِّب الفكرة إليكم، وإلَّا فإنَّ الحقيقة العلوية هي الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّةُ بوجهٍ من الوجوه.
**نحنُ كيف نتواصلُ مع إمامِ زماننا؟!**
نتواصلُ مع إمامِ زماننا من خلال مشاعرنا، من هنا جعلَ رسول الله صلَّى اللهُ عليه وآله أجرهُ على الرِّسالة (المودَّة)، لأنَّنا لا نستطيعُ أن نتواصلَ بعقولنا، تواصُلنا بعقولنا معَ إمامِ زماننا تواصلٌ محدود، لا نستطيعُ أن نُفعِّلهُ تفعيلاً كاملاً في واقعِ حياتنا من دون أن نتواصل تواصلاً من خلال مشاعرنا، من هنا فإنَّ الدين حُبٌّ وبُغض، حُبٌّ للخيرِ وبُغضٌ للشر، من هنا فإنَّ الدين ولايةٌ وبراءة، ولايةٌ للحقِّ وأهله، وبراءةٌ من الباطلِ وأهله، وكُلُّ ذلكَ مشاعر، عواطف، حواس، ميول، رغبات، إنَّها عناوينُ للنشاط الوجداني، للتفاعُل العاطفي.
كما قلتُ لكم: فإنَّ الأجر الَّذي يجبُ علينا أن ندفعهُ إلى أجيرنا الَّذي هو رسول الله، هو الَّذي يقول أنَا أجيركُم، (**أَلَا لَعنَ اللهُ مَنْ مَنَع الأَجِيرَ أَجْرَه**)، أجرهُ المودَّة، المودَّةُ إنَّها العاطفة، إنَّها الوجدانُ، إنَّها الحبُّ، إنَّها إنَّها، فعلاقتنا تنشأ معهم صلواتُ اللهِ عليهم جميعاً ومعَ إمامِ زماننا بنحوٍ خاص، من هذه البوابة؛ من بوابة المشاعرِ، من بوابة العواطف، من بوابة الميلِ والحبِ والعشقِ، من هنا.
أقرأُ عليكم حديثاً مُهمَّاً جِدَاً من الجزء الأوَّل من (الكافي الشريف) ، من الطبعة نفسها الَّتي قرأتُ عليكم منها في الحلقات الماضية، وهذا البابُ (باب النوادر) ، الحديثُ السادس، إنَّني أقرأُ من كتاب التوحيد، الحديثُ السَّادس: **بِسنده، عَن مُحمَّد بنِ إسمَاعِيل بنِ بَزِيع، عَن عَمِّه حَمزة بنِ بَزِيع، عَن إمَامنَا الصَّادقِ صَلواتُ الله وسَلامهُ عَلَيه، في قَول الله عَزَّ وَجَلَّ: "فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا منْهُمْ"، فَقَالَ: إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأسَفُ كَأسَفنَا وَلَكنَّهُ خَلَقَ أَوْليَاءَ لنَفْسه يَأسَفُونَ وَيَرْضَون، وَهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُون، فَجَعَلَ رِضَاهُم رِضَا نَفْسه وَسَخَطَهُم سَخَطَ نَفْسه، لَأنَّهُ جَعَلَهُم الدَّعَاةَ إلَيْه وَالأَدلَّاءَ عَلَيْه فَلذَلكَ صَارُوا كَذلك وَلَيْس أنَّ ذلكَ يَصلُ إلَى الله كَمَا يَصلُ إلَى خَلْقه، لَكنَّ هَذا مَعْنَى مَا قَالَ من ذلك، وَقَدْ قَالَ: مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً - اللهُ هو الَّذي يقول - مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيّاً فَقَد بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبة وَدَعَانِي إلَيْهَا، وَقَال: مَن يُطع الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله، وَقَالَ: إنَّ الَّذيْنَ يُبَايعُونَكَ إنَّمَا يُبَايعُونَ الله يَدُ الله فَوْقَ أَيْديهم، فَكُلُّ هَذا وَشبهُهُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَك، وَهَكَذا الرِّضَا وَالغَضَبُ وَغَيْرهُمَا منَ الأَشْيَاء ممَّا يُشَاكل ذَلك، وَلَو كَانَ يَصلُ إلَى الله الأَسَفُ وَالضَّجَرُ وَهُوَ الَّذي خَلَقَهُمَا وَأَنْشَأهُمَا لجَازَ لقَائل هَذا أنْ يَقُول: إنَّ الخَالق يَبِيدُ يَوْمَاً مَا، لأنَّهُ إذَا دَخَلَهُ الغَضَبُ وَالضَّجَر دَخَلَهُ التَغْيير، وَإذَا دَخَلَهُ**

**التَغيير لَم يُؤْمَن عَلَيه الإبَادَة، ثُمَّ لَم يُعرَف الْمَكوِّنُ منَ الْمُكَوَّن، وَلَا القَادرُ منَ الْمَقْدُورِ عَلَيْه، وَلَا الخَالقُ منَ الْمَخْلُوق، تَعَالى اللهُ عَن هَذَا القُولِ عُلُوّاً كَبِيراً، بَلْ هُو الخَالقُ للأشْيَاء لَا لحَاجَة، فَإذَا كَانَ لَا لحَاجَة اسْتَحَالَ الحَدُّ وَالكَيْفُ فيه فَافْهَم إنْ شَاءَ اللَهُ تَعَالى** - الكلامُ في نفسِ الاتجاه الَّذي حدَّثتكم عنهُ قبل قليلٍ، مَن أنَّنا لا نَستطيعُ أن نتواصلَ مَعَ اللهَ، نحنُ نتواصلُ معَ المعصومِ عبرِ مشاعرنا، نحنُ لا نستطيعُ أن نتواصلَ معَ المعصومِ عبرَ عقولنا إلَّا بمستوىً ضعيفٍ جِدّاً، لا نستطيعُ أن نتواصلَ معَ اللهِ سُبحانهُ وتعالى من خلالِ عُقولنا ولا من خلالِ مشاعرنا، فليسَ هناكَ من جهةٍ في اللهِ تستطيعُ عقولنا أن تتواصلَ معها، وليسَ هناك من جهةٍ في اللهِ تستطيعُ مشاعرنا أنَ تتواصلَ معها، فإنَّ اللهَ خلقنا بهذه الكيفيّةِ، بكيفيّةٍ فيها جنبةٌ عَقليّةٌ، وفيها جنبةٌ قلبيّةٌ وجدانيّةٌ عاطفية، وَوَضَع في باطِنِنا فطرَةً وتلكَ الفطرةُ تحتاجُ إلى من يُثيرها، والعقولُ الَّتي عندنَا تحتاجُ إلى من يُخرِجُ لنا دفائنها، فلذا نحنُ بحاجةٍ إلى المعصومِ الَّذي جعلهُ اللهُ سُبحانهُ وتعالى جهةً نستطيعُ أن نتواصلَ معها بعقولنا بنسبةٍ مُعيّنة، بنسبةٍ تلقي الحُجج، بنسبة تلقي التعليمِ وتلقي ما يمكننا أن نُحوّلهُ إلى معرفةٍ في قلوبنا، وجعلَ فيما بيننا وبينهُ بوّابةً للحُبِّ والبُغض، لحُبهِ وحُبِّ أوليائه - أتحدَّثُ عن المعصوم - ولبُغضِ أعدائه وأوليائهم وشؤونهم، فلذا منَ أحبّهم أحبَّ الله، إذا أردنا أن نقول من أحبَّ الله أحبّهم هذا الكلامُ من جهةِ التنظيرِ والتعمّقِ في التنظير يكونُ صحيحاً، لكن من الجهة العمليّة على أرضِ الواقع بالنسبةِ لنا لا نستطيعُ أن نُفعِّلهُ، الَّذي نستطيعُ أن نُفعِّلهُ؛ (**مَن أَحَبَّهُم فَقَد أَحَبَّ الله وَمَن أَبْغَضَهُم فَقَد أَبْغَضَ الله**)، هل أدركتم ما المرادُ من ضرورةِ وُجود الإمام؟! هل أدركتم ما المرادُ من ضرورة أنَّ الله هو الَّذي يُنصِّبُ الإمام؟! هل أدركتم من أنَّ المراد من وُجود الإمامِ ليس أن يحكم النَّاسَ وإنَّما وجودهُ هو وجودُ الله بوجهٍ من الوجوه؟! فلن نستطيع أن نتواصل معَ الله مُطلقاً إلَّا من خلاله، فالإمامُ ليسَ مُعلِّماً يُعلِّمنا الدين، هذا شأنٌ من شؤونه، لكنَّنا إذا حصرنا الإمامَ في هذه الجهةِ فقد أخطأنا خطأً كبيراً، وقد ذهبنا في متاهة وضلالٍ مثلما فعلَ مراجعُ النَّجف، حينَ جعلوا الإمامَ عالماً يُعلِّمنا الدين، ومثلما ضلَّت أحزابنا الشيعيّةُ أن جعلت من الإمامِ قائداً سياسيّاً، وقائداً مُجتمعيّاً، ومثلما تحدَّثَ آخرونَ من أنَّ الإمامَ مُصلحٌ اجتماعيّ، ومن أنَّه مُربّي يربّي الأمَّة على أخلاقٍ حميدة.

الروايةُ واضحةٌ وواضحةٌ جِداً، فإنَّ الإمامَ الصَّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه ماذا قال؟: **قَالَ: إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأسَفُ كَأسَفِنَا** - هذه العواطفُ والمشاعرِ ليست موجودةً عندَ الله، فكيفَ نستطيعُ أن نتواصلَ معهُ بمشاعرنا وعواطفنا، هذه المشاعرِ والعواطفُ ليست موجودةً في الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، إنَّما هيَ موجودةٌ في مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ في أئمَّتنا وسادتنا - **إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأسَفُ كَأسَفِنَا** - فهذا المعنى لا نجدهُ لا في المسمّى ولا في الاسم، وإنَّما نجدهُ في اسمِ الاسم.

- **فالمسمّى**؛ الذَّات الأولى.

- **والاسم**؛ الحقيقةُ الـمُحَمّديّةُ.

- **وللحقيقة الـمُحَمَّديَّة اسم.**

جهةُ المشاعرِ والعواطفِ والوجدانِ هنا، في اسم الحقيقة الـمُحَمَّديَّة، هذه هي الجهةُ الَّتي نستطيعُ أن نتواصل معها، الذَّاتُ الأولى مُنزَّهةٌ عن المشاعرِ والعواطف، وكذا الحقيقةُ الـمُحَمَّديَّة فهي وجهُ الله هي اسمُ اللهَ، والاسمُ دالٌّ على المسمَّى، فمثلما المسمَّى مُنزَّهٌ عن هذه المعاني فإنَّ الحقيقة الـمُحَمَّديَّة مُنزَّهةٌ عن هذه المعاني في وجهها الأ كمل في وجهها الأتم، أمَّا فيما صدرَ منها من خلقيّات بحسبِ مراتبِ الأسماءِ الحُسنى وما تجلَّى في مُحَمَّد وآل مُحَمَّد فإنَّ جهةَ الارتباط بهم هي هذه، جهةُ المشاعرِ والعواطف والحُبِّ والمودَّة، من هنا أُمرنا بأن نُوجه مشاعرنا باتجاههم.

فالصَّادقُ يقول: **إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأسَفُ كَأسَفِنَا وَلَكنَّهُ خَلَقَ أوْلِيَاءَ لنَفْسه يَأسَفُونَ وَيَرضَون، وَهُم مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُون، فَجَعَل رِضَاهُم رِضَا نَفْسه وَسَخَطَهُم سَخَطَ نَفْسه، لأنَّهُ جَعَلَهُم الدُّعَاةَ إلَيه وَالأدِلَّاءَ عَلَيْه** - دُعاةٌ إليَه وأدلّاء عليه؛ هذه جهةُ الارتباط، هم يدعوننا إلى الله وكذلكَ يُرشدونَنا إليه، هُم الأدلَّةُ إليه، عبرَ المودَّة، عبرِ المحبّة، عبرِ التوجُّهِ إليهم، فهم وجهُ الله، واللهُ سبحانهُ وتعالى هو الَّذي أرادَ ذلكَ وهو الَّذي صنعَ ذلك وهو الَّذي يريدُ منَّا ذلك، لا شأن لنا بدينِ سقيفةِ بني ساعدة، ولا شأن لنا بدينِ سقيفةِ بني نجف، الكلماتُ واضحةٌ والواقعُ العمليّ يتطابقُ مع هذه الكلمات الواضحة، وهذا الأمرُ بيّنٌ ومُنتشرٌ في قُرآنهم المفسَّرِ بتفسيرهم، مُنتشرٌ في أدعيتهم، في زياراتهم، في رواياتهم.

من نفسِ الباب، صفحة (١٦٦)، الحديث الحادي عشر: **بِسَنده، عَن زُرَارةَ، عَن أبي جَعْفَر عَلَيْه السَّلام** - عن إمامنا الباقرِ صلواتُ الله عليه، زُرارةُ يقول - **سَألْتُهُ عَنْ قَوْل الله عَزَّ وَجَلَّ: "وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلمُون"، قَالَ: إنَّ اللهَ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَمْنَعُ منْ أَنْ يُظْلَم** - ولذا نحنُ حينما نُقسِّمُ الظُّلمَ بحسبِ ثقافتهم: هناك ظُلمٌ للَه، والقُرآنُ صرح منَ أنَّ الشِّرك ظُلمٌ عظيم، والشِّركُ هو ظُلمٌ لله بحسبِ تقسيمِ أنواعِ الظُّلم، فهناك ظلمٌ لله، وهُناك ظلمٌ للخلق للعباد، وهناك ظُلمٌ للنفس، وهذه المعاني واضحةٌ لديكم - **إنَّ الله تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَعَزُّ وَأَجَلُّ وَأَمْنَعُ منْ أَنْ يُظْلَم، وَلَكنَّهُ خَلَطَنَا بنَفْسه** - خَلَطَ مُحمّداً وآلَ مُحَمَّد بنفسه - **وَلَكنَّهُ خَلَطَنَا بنَفْسه فَجَعَلَ ظُلْمَنَا ظُلْمَهُ وَوَلَايَتَنَا وَلَايَته، حَيثُ يَقُول: "إنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذيْنَ آمَنُوا"؛ يَعْني الأئمَّةَ منَّا، ثُمَّ قَالَ في مَوْضع آخَر: "وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلمُون"، ثُمَّ ذَكَرَ مثْلَهُ** - ثُمَّ ذَكَرَ مثلَهُ يبدو أنَّ الكلام من زُرارة من أنَّ الإمامِ الباقر قَد جاء بأمثلة أخرى من آيات الكتاب الكريم الَّتي تتحدَّثُ عن نفسِ هذا المضمون، فإمَّا أنَّ زُرارة قَد نسي النَّص المتبقّي أو أنَّهُ أرادَ أن يختصر الكلامَ باعتبارِ أنَّ الأمثلةَ الَّتي ذكرها هي هي الأمثلة الَّتي ذكرها الإمامُ وما ذكرها زُرارة، على أيِّ حال، الروايةُ واضحة وواضحةٌ جِداً من أنَّ المشاعر والعواطف وما يجري في عالَمِ وجداننا وفي هواجسنا وفي حواسنا في هذه الطبقة من وُجودنا ومن تكويننا لا علاقة لهُ لا بالذَّات الأولى، ولا بالحقيقة الـمُحَمَّديَّة، كُلُّ ذلكَ سبيلُ ارتباطٍ بأئمَّتنا الَّذينَ هُم بينَ أظهرنا بعبارةٍ أخرى هذا هوَ سبيلُ الارتباطِ بالحُجَّةِ بن الحسن صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه.

هذه العبارةُ الَّتي سأقرؤها عليكم من (زيارة عاشوراء) من (مفاتيح الجنان)، هذه العبارةُ تُلخِّص كُلَّ المضامين المتقدِّمة، أتحدَّثُ عن المضامين المتقدِّمة في هذه الحلقة، نُخاطبُ الحُسَين بهذا الخطاب: (**يَا أَبَا عَبْد الله إِنِّي سِلْمٌ لِمَنَ سَالَمَكُم وَحَرْبٌ لِمَن حَارَبَكُم إِلى يَومِ القِيَامَة**)، هذا الخطاب موجَّهٌ لهم عُموماً لـمُحَمَّد وآل مُحَمَّد وللحُسين خُصوصاً، فإنَّنا نقرأ من زيارة عاشوراء الَّتي هي زيارةٌ خاصَّةٌ ومخصوصةٌ بسيد الشُهداء.

هذا هو ديننا وهذا هو التوحيد، علاقَتنا بهم هي هذه، نحنُ لا نستطيعُ أنَ نُخاطبَ الذَّاتَ الأولى أو أن نُخاطبَ الحقيقةَ الـمُحَمَّديَّة من أنَنا سِلْمٌ لِمَن سالَمهم ومن أنَّنا حربٌ لمن حاربهم، هذه المضامينُ ليسَ لها من جهة ارتباطٍ لا بالذَّات الأولى ولا بالحقيقة الـمُحَمَّديَّة، حينَ نُسالـمُ من أجل الحُسين إنَّنا نُسالـم من أجل الله، وحينَ نُحارِبُ من أجل الحُسين إنَّا نحارِبُ منَ أجل الله، هذا الأمرُ في نهايتهَ في خواتيمه هو هكذا، إنَّما الأمورُ بخواتيمها، لكنَّنا نتعاملُ بشكلٍ مباشرٍ معَ إمامِ زماننا، هذا هوَ مضمونُ بيعة الغدير، وهذا هو مضمون الدينِ في مرحلة التأويل، الدينُ في مرحلةِ التنزيل نُسخ، الدينُ في مرحلة التأويل هو هذا، وهذا هوَ التوحيدُ في مرحلة التأويل.

(**يَا أَبَا عَبْد الله إِنِّي سِلْمٌ لِمَن سَالَمَكُم وَحَرْبٌ لِمَن حَارَبَكُم إِلى يَومِ القِيَامَة**)، فهل أنا سأعيشُ إلى يوم القيامة؟ حتَّى لو مُتَّ وبعد ذلك بعثتُ، وبعدَ ذلكَ مُتُّ وبعد ذلكَ بُعثتُ، وهكذا، فإنَّ الدينَ هو الدين، وإنَّ الحقيقَة هي الحقيقة.

هو المضمونُ نفسهُ في الزيارة الجامعة الكبيرة: (**فَمَعَكُم مَعَكُم لَا مَعَ غَيْرِكُم**)، هذا هوَ مركزُ العلاقة في الزيارة الجامعة الكبيرة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد، (**فَمَعَكُم مَعَكُم لَا مَعَ غَيْرِكُم**) ، هذه الجهةُ الَّتي نتواصلُ معها، نحنُ لا نستطيعُ أن نقولَ لله فمعكَ مَعَكَ لا مَعَ غيرك، من جهة التنظير يصحُّ هذا، ولكن من جهة العمل، من جهة إمكاناتنا، من جهة قُدراتنا، لا نستطيعُ أن نقولَ ذلكَ لله، من جهة التنظير نعم نستطيعُ أن نقول من أنَّنا معكَ معكَ يا الله لا معَ غيرك، مثلما نقولُ في هذا التعبير: (لَا إِلَه إِلَّا الله)، لَا إِلَه إِلَّا الله؛ هو نفسُ المضمون (مَعَكُم مَعَكُم لَا مَعَ غَيرِكُم)، ولكن في سياقٍ واتجاه آخر.

ويتجلَّى المعنى واضحاً صريحاً في زيارة الزَّهراء صلواتُ الله وسلامهُ عليها، حين نُخاطبها: **فَإِنَّا نَسْأَلُك إِنْ كُنَّا صَدَّقْنَاك** - يا زَهراء - **إِلَّا أَلْحَقْتنَا بِتَصْدِيْقنَا لَهُمَا** - بتصديقنا لـمُحَمَّد وعلي - **لنُبَشِّرَ أَنْفُسَنَا بِأَنَّا قَدْ طَهُرْنَا بِوَلَايَتك** - العنوانُ الأوَّلُ الَّذي رَبَّى النَّبيَّ الأُمَّةَ عليهَ باتجاه فَاطمَة (المودَّةُ الواجبَةَ) ، ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيه أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى**﴾، فَاطمَةُ هي العنوانُ الأوَّلُ من القُربى، مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وآله إذا أردنا بحسبِ الأعراف، أقربُ النَّاس إليه على النحو الأسري فَاطمَة هي بنتهُ الوحيدة، نحنُ لا نتحدَّثُ هنا عن عنوانِ أهل البيت العقائدي، أتحدَّثُ عن الأسرة، عن الرّوابط الرَّحميّة والأسريّة بحسبِ العرف، العنوانُ الأوَّلُ فَاطمَة، وماذا حدَّثنا عن فَاطمَة؟

بعد المودَّة كان هذا المضمونُ الَّذي ينتشرُ في كُتب الشيعة وفي كُتب السنة: (**من أنَّ الله يَرضَى لِرضَاهَا وَيَغضَبُ لِغَضَبِهَا**)، هذا المضمونُ موجودٌ في كُتب الشيعة وفي كُتب السنّة، حتَّى في صِحاحهم كصحيح البخاري وصحيح مسلم هذه المضامينُ موجودةٌ، (**فَإِنَّ الله يرضَى لرضا فَاطِمَة ويغضَبُ لِغَضَبها**).

- **عنوانُ المودَّة.**
- **عنوانُ الرضا.**
- **عنوانُ الغضب.**

هذه المضامينُ تأخذنا إلى أين؟ تأخذنا إلى سورة البيِّنة.

وإلى الآية الخامسة بعد البسملة من سورة البينة: ﴿**وَمَا أُمِرُوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوْا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ** - هذا هو التوحيد - **وَمَا أُمِرُوْا إِلَّا لِيَعْبُدُوْا اللهَ مُخْلِصِيْنَ لَهُ الدِّيْنَ حُنَفَاء وَيُقِيْمُوْا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوْا الزَّكَاةَ** - هَذا الدِّينُ بكُلِّه، بعقائده، بعباداته، بتكاليفه، بكُلِّ منظومته - **وَذَلِكَ دِيْنُ الْقَيِّمَة**﴾، جهةُ الاتصال بها هي هذه: (المودَّةُ والرضا والغضب)، أن نرضى لرضاها، وأن نغضبَ لغضبها، أن نوالي من توالي وأن نُعادي من تعادي، أن نوالي أوليائها، وأن نعادي أعدائها، هذه هي جهةُ الارتباطِ بالقيمة، فإنَّ مُحَمَّداً صلَّى اللهُ عليه وآله ثقَّفنا بخصوص علاقتنا بفَاطمَة وفقاً لهذه العناوين:

- لعنوان المودَّة.
- ولعنوان أنَّ الله يرضا لرضاها.
- وأنَّ اللهَ يَغضبَ لغضبها.
- ومن أنَّها أُمُّ أبيها.
- ومن أنَّها بَضْعَتُهُ، بَضْعَتهُ؛ قطعةٌ منه.
- ومن أنَّها مُهجتهُ.
- ومن أنَّها روحهُ الَّتي بينَ جنبيه.

كُلُّ هذه المضامين تقودنا باتجاه العواطف، باتجاه المشاعر، باتجاه ما يدورُ في وجداننا وما يدورُ في قلوبنا، باتجاه الميل، باتجاه الحبَ، باتجاه الودِّ، في هذه الاتجاهات وهي جهةُ الارتباطِ بهم صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم أجمعين.

**إذا ما ذهبنا إلى سورة التوبة:**

وفي الآية الرابعة والعشرين من سورة التوبة: ﴿**قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا**﴾، هذه الدنيا بكُلِّ تفاصيلها، وهذه هي أهمُّ اهتمامات النَّاس، الأمرُ لا ينحصرُ بهذه العناوين لكنَّ هذه العناوين هي الَّتي تشغلُ بالَ النَّاس، وإلَّا يُمكنُ أن يكون في النَّاس من يكونَ مشغولاً بأشياء أخرى من شؤون الدنيا، أن يكونَ مهووساً بطلب الرئاسة والسلطة،

كما عليه حالُ مراجع النَّجف وحالُ أولادهم وأصهارهم، الهاجسُ الأوّلُ والأخير الَّذي يسكن في قلوبهم كيف يُحصِّلون المرجعيّة، كيفَ يُوسّعونَ المرجعيةَ، كيفَ يجمعون الأموا ل، كيفَ تكونُ الشهرةُ الذائعةُ لهم، كَيفَ وكَيفَ، وتأتي هذه العناوينُ بعد تلك العناوين، على أيِّ حال.

-**وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**، الَّذي يكونُ بهذا الحال فإنَّهُ فاسقٌ ضال؛ **﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾** ، فهوَ فاسقٌ ضال، الَّذي لا يكونُ الحُبُّ لرسول الله ولآلهِ ولشؤونهم هو المقدَّمُ في قلبهِ على كُلِّ حُبٍ فهو فاسقٌ وضال ولن يهتدي، **﴿وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**.

• **هذه باقةٌ جميلةٌ من تطبيقات لمَا تقدَّم من عرضٍ لمضمونِ الركن الرابع من أركانِ عقيدتنا التوحيدية:**

في (كامل الزيارات) للشيخ ابن قولويه رضوان الله تعالى عليه / طبعة مكتبة صدوق طهران - إيران / الباب التاسعُ والخمسون من أبوابِ كامل الزيارات / صفحة (١٦٠)، الحديثُ السابع: **بِسَنده عَن الحُسَين بنِ مُحمَّد القُمِّي، قَالَ، قَالَ لِي الرِّضَا** - إمامنا الرضا صلواتُ الله عليه يُحدِّث الحُسين بن مُحمَّد القُمِّي، أذهبُ إلى موطن الحاجة من الرواية: **ثُمَّ قَالَ لِي** - الإمام الرضا يقولُ للحُسينِ القُمي هذا - **مَنْ زَارَ قَبْرَ أَبِي عَبْد الله بِشَطِّ الفُرَات كَانَ كَمَنْ زَارَ الله فَوقَ كُرسيه** - هذا هوَ التواصلُ معهم هو تواصلٌ معَ الله، هو هو، قطعاً هذه التعابيرُ بوجه مُقاربة وهذا الأسلوبُ وفقاً لقانون المداراة، المعاني أعظمُ من كُلِّ ما يظهرُ من هذه الألفاظ، هُم وجهُ الله، التواصلُ معَ هذا الوجه هوَ تواصلٌ معَ اللهِ سبحانهُ وتعالى، كما قلتُ لكم هذه باقةٌ جميلةٌ من تطبيقات للمضمون الَّذي حدَّثتكم عنه.

في البَابِ نفسه، الحديثُ الأوَّل، صفحة (١٥٩)، في الباب التاسع والخمسين: **بِسَنده، عَن زَيْد الشَّحَّام، قَالَ، قُلتُ لأَبِي عَبْد الله** - لإمامنا الصّادق صلواتُ الله عليه - **مَا لِمَن زَارَ قَبْرَ الحُسَين؟** - ما الَّذي يناله؟ - **مَا لِمَن زَارَ قَبْرَ الحُسَين؟** - ما لِمن تواصل معكم عبر الحُسين؟ فماذا قال الصّادقُ؟ - **قَالَ: كَمَن زَارَ اللهَ فِي عَرْشه.**

والمضمونُ هو هو في الحديث الحادي عشر من نفس الباب: **بِسَنده، عَن بَشِيْر الدَهَّان** - أذهبُ إلى موطنِ الحاجة من الرواية الشريفة، والحديثُ عن إمامنا الصَّادق صلواتُ الله وسلامهُ عليه، الإمامُ يقولُ لبشيرِ الدهَّان: **يَا بَشِير مَن زَارَ قَبْرَ الحُسَينِ عَارِفاً بِحَقِّه** – عارفاً، هذه المضامين: (أنَّهُ من زَارَ الحُسين كَانَ كَمَن زَارَ الله فَوقَ كُرسيّه، كَانَ كَمَن زَارَ الله فِي عَرشه) هذه المضامين بهذا الشرط: (أن يكُونَ عَارِفاً بحقِّ الحُسَينِ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه)، إنَّها العقيدةُ السليمةُ الَّتي أحدِّثكم عنها.

**يَا بَشِير** - الإمامُ الصّادقُ يقول يُخاطب بشير الدهان - **يَا بَشِير، مَن زَارَ قَبْرَ الحُسَيْنِ عَارِفاً بِحَقِّه كَانَ كَمَن زَارَ الله فِي عَرْشه.**

في نصٍ آخر في الكتابِ نفسه في الباب الرابع والخمسين، صفحة (١٥٢)، إنَّهُ الحديثُ السابع عشر: **بِسَنده، عَن مُحمَّد بن أَبِي جَرِير القُمِّي، قَالَ: سَمعتُ أَبَا الحَسَنِ الرِّضَا صَلوَاتُ الله عَلَيه يَقُولُ لأَبِي** - مُحمَّد بن أبي جرير القُمِّي يقول؛ سمعتُ الإمام الرضا يقولُ لأبي: **مَنْ زَارَ الحُسَيْنَ بنَ عَلِي عَارِفاً بِحَقِّه** - بهذا الشرط - **عَارِفاً بِحَقِّه كَانَ مِنْ مُحَدِّثِي الله فَوقَ عَرشِه، ثُمَّ قَرَأَ؛ "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَر، فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِر"** - المضامينُ هي هي، لكنَّني بدأتُ بقراءتها بنحوٍ تدريجي.

وأختمُ الحلقة بهذا الحديث الشريف الَّذي جاء في الباب الثامنِ والثلاثين، إنَّهُ الحديثُ الرابع: **عَنْ صَفوانَ الجَمَّال، يُحدِّثُنَا عَنْ إِمَامنَا الصَّادقِ صَلواتُ الله وسلامهُ عَلَيه يَقُول: قَالَ لِي أَبُو عَبْد الله لَمَّا أَتَى الحِيْرَة** - بقي الإمامُ مدةً من الزمانِ في الكوفة صفوان الجمّال يقول: **قَالَ لِي أَبُو عَبْد الله لَمَّا أَتَى الحِيْرَة هَلْ لَكَ فِي قَبرِ الحُسَين؟!** - يعني هل تذهبُ معي؟ هل تريد أن تذهبَ لزيارة قبرِ الحُسين؟ - **قُلتُ: وَتَزورهُ جُعلْتُ فِدَاك؟** - هل تريدُ أن تزورهُ؟ - **قَالَ: وَكَيْفَ لَا أَزُورهُ** - ثُمَّ ماذا قال؟ - **وَاللهُ يَزُورهُ فِي كُلِّ لَيْلَة جُمعَة، يَهبِطُ مَعَ الْمَلائكَة إِلَيْه وَالأَنْبِيَاء وَالأَوْصِيَاء وَمُحَمَّدٌ أَفْضَلُ الأَنْبِيَاء وَنَحنُ أَفْضَلُ الأَوصِيَاء** - يعني أنَّنا سنكونُ معه، قطعاً نحنُ لا نفهمُ هذه الأحاديث بالتجسيد والتجسيم، هذا أمر بديهي، هذه الأحاديثُ تُحدِّثنا عن جهة الاتصال والتواصل بحسبهم بحسبِ مُحمَّد وآلِ مُحمَّد معَ الحقيقة المُحمَّديَّة ومعَ اللهِ سبحانهُ وتعالى، هذه الأحاديثُ تُصَبُّ بهذه القوالب اللفظيّة لأنَّ القوالب اللفظيّة قاصرةٌ..